194404 ـ تعاني من قسوة والديها في معاملاتها وضربها المستمر، ويريدان منعها من الرجوع لزوجها

السؤال

أنا ولله الحمد بارة جدا جدا بأمي وأبي ، والكل يشهد على ذلك ، وأفعل كل شيء يطلب مني تجاههما ، ومع ذلك لا تقدير ، ولا اهتمام لي أبدا ، وأقسم بالله العظيم أني لا أكذب ولا أزيد ، أعامل جدا بقسوة من أمي وأبي ، والله يعاملونني مثل الخدامة في البيت ، بل معاملة الخدامة أفضل ، فهم لا يضربونها ، ولا يعذبونها أبدا ؛ وأما أنا فأهان مثل الحيوان ، وأعمل ليلا ونهارا ، بل إذا نمت أوقظ بالضرب ، وأعاقب ، وأكوى بالنار على يدي وأرجلي ، وأذكر والله أياما كثيرة متواصلة لا أنام ، وبالرغم من وجود خادمة ، وإخوتي كثيرون والحمد لله ، إلا أنني الوحيدة التي أعامل هكذا ، ووالله يحرمونني من المصروف ، واللبس ، والمذاكرة ، والنوم ، وحتى الكلام سواء معهم أو الهاتف ؛ ووالله طيلة عمري 20 سنة أعامل هكذا ، ووالله إني أبكي طول الليل ، ولا أستطيع النوم ، وفي الصباح أقوم بالعمل وأضرب كثيرا ، وفي المقابل : أخواتي وأخي مثل الأمراء ، لا يعملون ولا شيء ، ومع كل هذا فالابتسامة لا تفارقني ، ولا أقول لأحد ، ولا أشتكي ، ومره قالت لي أمي : إنني أكرهك كثيرا ، وتبصق في وجهي ، وتقول لأخي : اضربها إلى أن أرى الدم ، والله والله لا أكذب ، وأبي يدعو علي رغم أنهم يعرفون أني الوحيدة البارة ، ومحبوبة من الكل ، وأمي أقسمت أمامي أنها لا تجعلني أفرح أبدا ، وأنها سوف تحرمني من كل شيء ، وقالت : أنا أتلذذ بهذا ، وأبي أيضا يساعدها في ذلك ، وعذرا أطلت عليك ، ولكن بقي الكثير والكثير ، والحمد الله رزقني الله زوجا صالحا ، وتزوجت بسرعة ، وكان زواجي مفاجأة لهم ، وإلى الآن لم تتوقف أمي عن أفعالها معي ولا أبي ، وتريد مني أن آتي إلى البيت وأخدمهم ، ولا أذهب لزوجي ، وأبي قبل أمس قال : المرة المقبلة سأحلف أن لا أرجعك إلى البيت ، وأجعلك خادمة عندنا ، وقال : أنا أكرهك جدا ، ولا أريد منك أن تكوني سعيدة أبدا ، ولا أريدك إلا ذليلة منكسرة . وأقسم لك لا أكذب ، ومع ذلك كل يوم أدعو بهذا الدعاء : اللهم لا تجعل في قلبي غلا للذين آمنوا ، يا رب ...

سؤالي :
هل يجوز لي أن أقاطعهم ولا أذهب إليهم ، علما بأن آخر مرة قال لي أبي : لن أجعلك ترجعين إلى زوجك ؟! أنا أريد ألا أذهب إليهم ، وأنساهم ؛ لأني كل ما ذهبت إليهم أبكوني ، وأسمعوني كلاما سيئا ، ولا يكفون عن ضربي ؛ فهل يجوز لي ذلك ؟!

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

لقد آلمتنا معاناتك وأحزننا ألمك ، فنسأل الله أن يفرج كربك وهمك ، ويبدلك فرجاً وراحة وسروراً من عنده إنه هو البر الرحيم.

واعلمي يا أمة الله أنه مهما بلغ بك الألم والأذى ، فهناك من عانى أكثر مما عانيت ، وتألم أكثر مما تألمت ، وقاتل وقتل ، وأوذي لكن صبر! فتلك حكمة الله تعالى ، التي يراها المؤمن فيما يقدره الله تعالى عليه : أن يبتلي عباده بالسراء والضراء : (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) الأنبياء/35 .

ثانياً :

ينبغي أن تعلمي أن الإحسان إلى الوالدين واجب حتى ولو مع فسقهما وكفرهما، بل حتى لو ألحا على ولدهما ليكفر ، يجب عليه أن يثبت على الإيمان ، ومع ذلك: يحسن إليهما .

قال تعالى : (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) لقمان/15 .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأسماء رضي الله عنها وقد جاءت إليها أمها تزورها وهي كافرة لحاجة فقال لها : (صلي أمَّك) كما رواه البخاري (2477) ومسلم (1003) .

ثالثاً :

إذا كانت زيارة والديك ستكون سبباً في أن يصيبك منهما ضرر وأذية مستمرة ، ويحصل بسببها تدخل في حياتك، أو تكدير لما بينك وبين زوجك ، أو تفريق بينكما : فلا حرج عليك أن تمتنعي عن زيارتهم بالكلية ، ولو لفترة ما ، حتى تنقطع الأذية عنك ويمكن أن تكتفي بالوسائل الأخرى للصلة ، ومن ذلك الاتصال الهاتفي ونحوه .

وإذا أمكن أن تجعلي سكنك أنت وزوجك في بلد آخر ، بعيدا عنهم ، فهو أحسن ؛ ثم إذا تبين لك صلاح حالهم ، وانتهاؤهم عن أذاك والإضرار بك ، فواصليهم ؛ وإن بقوا على حالهم : فلا حرج عليك في الابتعاد عنهم .

وليس هناك حد لذلك الأمر ؛ بل متى غلب على ظنك أن أذاهم قد انقطع ، وتغيرت معاملتهم معك : فعودي إلى زيارتهم وصلتهم بما يمكنك.

وأكثري من دعاء الله عز وجل أن يلين قلوبهم ويصلح أحوالهم ، نسأل الله أن يجبر كسرك، ويصلح لك بالك ، ويهدي والديك .

والله أعلم .